ذبح الموت

للإمام ابن القيم







للإمام ابن القيم

اعتنى بنشره

د. إياد العكيلي

غفر الله له وللمؤمنين والمؤمنات

١٤٤٤ هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإنّه لا تزال عقائد المسلمين محلّ ابتلاء من الله عَزَّ وَجَلَّ لعباده، فيميز ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَى بها الناس ليتبيّن الصادق المؤمن المسلّم من المشكّك والمكذّب والمُلحد، قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ [البقرة:١٤٣].

وإنَّ ممّا تواطأت عليه عقيدة المسلمين ما نطقت به الأحاديث الصحيحة الصريحة على ما جاء في جمهرة كتب السنة الشريفة من أنَّ الموت يوم القيامة يُذبح على السور الذي بين أهل الجنة وأهل النار على هيئة كبش أملح إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار[١]؛ وهذا من تمام حكمة الله عَزَّ وَجَلَّ وكمال فضله وعدله؛

---

(١) فمن ذلك: الزهد والرقائق لابن المبارك (١٥٣٣)، ومسند أحمد (٥٩٩٣)، والمنتخب من مسند عبد بن حميد (٩١٤)، ومسند الدارمي (٢٨٥٣)، وصحيح البخاري (٤٧٣٠)، وصحيح مسلم (٢٨٤٩)، وسنن ابن ماجه (٤٣٢٧)، وسنن الترمذي (٢٥٥٧)، وصفة النار لابن أبي الدنيا (٢٥٧)، ومسند أبي هريرة لأبي إسحاق العسكري (٦)، ومسند البزار (٧٢٤٠)، والسنن الكبرى للنسائي (١١٢٥٤)، ومسند أبي يعلى (١١٧٥)، والتوحيد لابن خزيمة (١/ ٢١٥)، ومستخرج أبي عوانة (١٢٤٣٨)، ومجموع فيه مصنفات أبي جعفر ابن البختري (٣٦٨)، ومعجم ابن الأعرابي (٢٠٧٣)، وصحيح ابن حبّان (٥٢٢٧)،





إذ به يُبشَّر أهل الجنة ويُسرّون بخلودهم في الجنة دار النعيم فيأمنون من الموت أو انقطاع السرور عنهم، ويزداد حسرة وعذاب الكافرين بخلودهم في جهنّم دار البوار والعذاب المُقيم.

وهذا ما نصّ عليه أئمة المسلمين في عقائدهم، فقد ذكر الإمام حرب بن إسماعيل الكرماني (ت ٢٨٠ هـ) تلميذ الإمام أحمد وصاحبه في إجماع السلف في الاعتقاد ما لفظه: "ويُذبح الموت يوم القيامة بين الجنة والنار"(١).

وبوّب الإمامُ أبو نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ) في كتابه: "صفة الجنة" باباً بعنوان: "ذكر ما يبشّرون به من الخلود والفرح بذبح الموت لقوله تعالى: ﴿ءَامِنِينَ ۝٥٥ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ﴾ [الدخان: ٥٥-٥٦]"(٢).

وقال الإمام عبد الغني المقدسي (ت ٦٠٠ هـ): "ونُؤمن بأنَّ الموتَ يُؤتى به يوم القيامة فيُذبح"(٣).

والمعجم الكبير للطبراني (١٣٣٤٦)، والمعجم الأوسط له (٣٦٧٢)، والشريعة للآجري (٩٤١)، وأمالي ابن سمعون (١٨٣)، والإيمان لابن منده (٨١٥)، ومستدرك الحاكم (٢٧٨)، وحلية الأولياء لأبي نعيم (٨/ ١٨٣)، وأمالي ابن بشران (٤٠٢)، والمختصر النصيح للمهلب ابن أبي صفرة (٢١٢٥)، والبعث والنشور للبيهقي (٥٨٤)، وشعب الإيمان له أيضًا (٣٨٢)، وشرح السنة للبغوي (٤٣٦٦)، ومعجم ابن عساكر (٩٢).

(١) (ص٥٢).

(٢) (١/ ١٣١).

(٣) الاقتصاد في الاعتقاد (ص١٩٤).

وقال الإمام ابن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠ هـ): "ويُؤتى بالموت في صورة كبش أملح، فيُذبح بين الجنة والنار، ثمّ يُقال: «يا أهل الجنة خلود ولا موت، ويا أهل النار خلود ولا موت»"[١].

وقال العلّامة ابن العطّار (ت ٧٢٤ هـ): "ويُؤمر بالموت فيُذبَحُ على سورٍ بين الجنة والنار، وينادي المنادي: "يا أهل الجنةِ خلودٌ ولا موت، ويا أهل النارِ خلودٌ ولا موت". على ما ورد به الخبرُ الصحيح عن رسول الله ﷺ[٢]"[٣].

وقال العلّامة يوسف العبادي العُقيلي (ت ٧٧٦ هـ) في نظمه للمعتقد: " وَيُذْبَحُ كَبْشُ الْمَوْتِ فَالنَّاسُ بَعْدَهُ ... فَرِيقَانِ ذُو رِبْحٍ وَآخَرُ ذُو خُسْرِ "[٤].

وقال العلّامة الصنعاني (ت ١١٨٢ هـ): "حديث ذبح الموت بين الجنة والنار: وقد جاء عن جمع من الصحابة كابن عمر وأبي هريرة وأبي سعيد وغيرهم في الصحيحين وغيرهما"[٥].

ويقول العلّامة صدِّيق حسن خان (ت ١٣٠٧ هـ): "والموت يُؤتى به يوم القيامة فيُذبح، كما روى أبو سعيد عن النَّبي ﷺ ..."[٦].

---

(١) لمعة الاعتقاد (ص٣٤).

(٢) وستأتي الأحاديث بذلك.

(٣) الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد (ص ٢٥٥).

(٤) نهج الرشاد في نظم الاعتقاد (ص ٦٦).

(٥) رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار (ص٢٠).

(٦) قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر (ص١٢٧).

هذا ما أجمع عليه أهل الحقّ، وأمّا غيرهم من أهل الضلال فقد تاهوا في بيداء الحيرة، وانقسموا تجاه حديث ذبح الموت "إلى طائفتين: طائفة لم تَرفع بحديثِ رسولِ الله ﷺ رأسًا، فلم تَتردَّد في إنكارِه والتَّشطيب عليه، ولم تُكلِّف نفسَها تفسيرَه على ما يُوافق العقلَ ولا الشَّرع.

وأخرى لم تجحَد صحَّةَ الحديث، لكنَّها استفرَغت جُهدَها في تأوُّله على غير ظاهرِه بتأويلاتٍ مُتضاربةٍ"[1].

وأحسن من وقفتُ عليه من العلماء ممّن تناول هذا الحديث نثراً ونظماً بتقريرات قيّمة ونكت وافية وحجج عقليّة وشرعيّة فائقة الإمام الهمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فأحببتُ أن أضمّ كلامه المنثور إلى شعره المنظوم[2] وأعلّق عليه تعليقات يسيرة ليكون معلمة في هذه المسألة، والله الموفق والمستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله الرحيم الرحمن.

---

(١) المعارضات الفكرية المعاصرة لأحاديث الصحيحين، د. محمد زريوح (٢/ ١١٩٢)

(٢) وأمّا كلامه المنثور فهو من كتابه: "حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح - فصل: في ذبح الموت بين الجنة والنار، ط. دار عطاءات العلم الرياض، وابن حزم بيروت، بتحقيق زائد النشيري، ٢/ ٨١٣)، وشعره المنظوم من نونيّته الشهيرة: "الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ط. دار عطاءات العلم الرياض، وابن حزم بيروت، بتحقيق محمد العريفي وآخرين، ٣/ ١٠٢٨).

ذبح الموت بين الجنة والنار

قال اللَّه تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [مريم: ٣٩]

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم: "يُجاءُ بالموت كأنّه كبش أملح فيُوقف بين الجنة والنار، فيقال : يا أهل الجنة، هل تعرفون هذا؟ فَيَشْرَئِبُّونَ وينظرون ويقولون: نعم، هذا الموت، قال: ثم يُقال: يا أهل النار، هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم، هذا الموت، قال: فيُؤمر به فيُذبح، قال: ثم يُقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، ثم قرأ رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [مريم: ٣٩]" متفق عليه(١).

وفي "الصحيحين" أيضًا من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم قال: "يُدخِل اللَّه أهلَ الجنةِ الجنةَ، ويُدخِلُ أهلَ النارِ النارَ، ثم يقوم مؤذن بينهم، فيقول: يا أهلَ الجنةِ لا موت، ويا أهل النار لا موت، كلٌّ خالد فيما هو فيه"(٢).

---

(١) البخاري: ٤٧٣٠ ومسلم: ٢٨٤٩.

(٢) البخاري: ٦٥٤٤ مسلم: ٢٨٥٠.



وعنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: "إذا صار أهلُ الجنةِ إلى الجنة، وصار أهل النار إلى النار أُتِيَ بالموت حتى يُجعل بين الجنة والنار، ثم يُذبح، ثم ينادي منادٍ: يا أهلَ الجنةِ: لا موت، ويا أهلَ النارِ لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحًا إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حُزْنًا إلى حزنهم"[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول اللَّه ﷺ قال: "إذا دخلَ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ، وأهلُ النَّارِ النَّارَ، أُتِيَ بالموتِ مُلَبَّبًا[٢]، فيوقفُ على السُّور الَّذي بين أهل الجنَّة وأهلِ النَّارِ، ثمَّ يُقال: يا أهل الجنَّة فيطَّلعون خائفين، ثمَّ يُقال: يا أهل النَّار فيطّلعون مستبشرين يرجون الشفاعة، فيُقال لأهل الجنَّة وأهل النَّارِ: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: هؤلاء وهؤلاء: قد عرفناهُ، هو الموتُ الَّذي وُكِّلَ بنا، فَيُضْجَعُ فَيُذْبَحُ ذَبْحًا على السور، ثمَّ يقال: يا أهل الجنَّة خلودٌ لا موت، ويا أهل النَّارِ خلودٌ لا موت".

رواهُ النسائي والترمذي وقال: "حديثٌ حسنٌ صحيح"[٣].

وهذا الكبش، والإضجاع، والذبح، ومعاينة الفريقين ذلك **حقيقةٌ لا خيال ولا تمثيل**، كما أخطأ فيه بعض النَّاس خطأً قبيحًا.

وقال: الموت عَرَض، والعرض لا يتجسَّم فضلًا عن أنْ يُذبح، وهذا

---

(١) البخاري: ٦٥٤٨ مسلم: ٢٨٥٠.

(٢) أخذ بتلبيبه وتلابيبه إذا جمعت ثيابه عند صدره ونحره، والمعنى يؤتى بالموت مقبوضًا عليه يُجر ويُنحر.

(٣) الترمذي: ٢٥٥٧ النسائي في الكبرى: ١١٥٠٥، وهو في: صحيح الجامع (٨٠٢٥).

لا يصحُّ، فإنَّ اللَّه سبحانه يُنشئ من الموت صورة كبش يُذبح، كما يُنشئ من الأعمال صورًا مُعَاينة يُثَابُ بها ويعاقب، واللَّه تعالى يُنشئ من الأعراض أجسامًا تكون الأَعراض مادَّةً لها، ويُنشئ من الأجسام أعراضًا، كما يُنشئ سبحانه من الأعراض أعراضًا، ومن الأجسام أجسامًا.

فالأقسام الأربعة ممكنة مقدورة للرَّب تعالى، ولا يستلزم جمعًا بين النقيضين، ولا شيئًا من المُحَال، ولا حاجة إلى تكلّف من قال: إنَّ الذبح لملك الموت، فهذا كله من الاستدراك الفاسد على اللَّه ورسوله، والتأويل الباطل الَّذي لا يوجبه عقلٌ ولا نقل، وسببه قِلَّة الفهم لمراد الرسول ﷺ من كلامه، فظنَّ هذا القائل أنَّ لفظ الحديث يدلُّ على أن نفسَ العَرَض يُذبح.

وظنَّ غالطٌ آخر: أنَّ العَرَضَ يُعدم ويزول، ويصير مكانه جسمٌ يُذبح.

ولم يهتدِ الفريقان إلى هذا القول الَّذي ذكرناهُ، وأنَّ اللَّه ﷻ يُنشئ من الأعراض أجسامًا يجعلها مادَّةً لها، كما في الصحيح عنه: "تجيء البقرة وآل عمران يوم القيامة كأنَّهما غمامتان" الحديث[1].

---

[1] ونصّه من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسـول الله ﷺ: "اقرؤوا الْقُرْآنَ. فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَـفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقرؤوا الزَّهْرَاوَيْنِ: الْبَقَرَةَ وَسُـورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ. أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ. أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عن أصحابهما، اقرؤوا



فهذه هي القراءة يُنشئها اللَّه سبحانه غمامتين.

وكذلك قوله في الحديث الآخر: "إِنَّ ما تذكرون من جلال اللَّه من تسبيحه وتمجيده وتكبيره وتهليله يتعاطفن حول العرش، لهُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحلِ، يُذَكِّرْنَ بصاحبهنَّ" ذكره أحمد[1].

وكذلك قوله في حديث عذاب القبر ونعيمه للصورة التي يراها: "فيقول: من أنتَ؟ فيقولُ: أنا عملك الصَّالح، وأنا عملك السيئ"[2].

وهذا حقيقة لا خيال؛ ولكنَّ اللَّه سبحانه أنشأ له من عمله صورةً حسنةً، وصورة قبيحة.

وهل النور الَّذي يُقْسَم بين المؤمنين يوم القيامة إلَّا نفس إيمانهم، أنشأ اللَّهُ سبحانه منه نورًا، يسعى بين أيديهم[3]، **فهذا أمرٌ معقولٌ لو لم يرد به النص، فورود النص به من باب تطابق السمع والعقل.**

وقال سعيد عن قتادة: بلغنا أنَّ نبي اللَّه ﷺ قال: "إنَّ المؤمن إذا خرج من قبره صُوِّرَ له عمله في صورةٍ حسنةٍ وشارةٍ حسنة،

سُورَةَ الْبَقَرَةِ. فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ. وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ. ولا يستطيعها الْبَطَلَةُ". صحيح مسلم (٨٠٤)، وهو من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه كذلك، المرجع السابق: (٨٠٥).

(١) (ط. الرسالة: ١٨٣٦٢، وصحّحه محقّقو مسند أحمد وقالوا: والمراد: تمثيل هذه الكلمات التي هي التسبيح وغيره، وهذا مبني على تشكل الأعمال والمعاني بأشكال، وهذا مما يدل عليه أحاديث كثيرة)، وانظر: الصحيحة للألباني (٣٣٥٨).

(٢) وهو حديث البراء بن عازب رضي الله عنه الطويل، وانظر: مسند الطيالسي (٧٨٩)، ومسند أحمد (١٨٥٣٤)، وصححه المنذري والألباني (صحيح الترغيب: ٣٥٥٨).

(٣) يشير إلى آية الحديد (١٢)، وآية التحريم (٨).





فيقول له: من أنتَ؟ فوالله إنِّي لأراك امرأ الصدق، فيقول له: أنا عملك، فيكون له نورًا وقائدًا إلى الجنَّة. وأمَّا الكافر إذا خرج من قبره، صُوِّر له عمله في صورة سيئة، وشارة سيئة، فيقول: ما أنت؟ فوالله إنِّي لأراك امرأ السوء، فيقول له: أنا عملك، فينطلق به حتَّى يدخله النَّار"[١].

وقال مجاهد: مثل ذلك[٢].

وقال ابن جُريج: "يُمَثَّلُ له عمله في صورة حسنة وريح طيبة، يعارض صاحبَه ويبشّره بكلِّ خيرٍ، فيقول له: من أنتَ؟ فيقول: أنا عملك، فيجعل له نورًا بين يديه حتَّى يُدخله الجنَّة فذلك قوله: ﴿يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ﴾ [يونس: ٩]، والكافرُ يُمَثَّلُ له عمله في صورةٍ سيِّئة وريح منتنة، فيلازم صاحبه ويُلادُّهُ حتَّى يقذفه في النَّارِ"[٣].

وقال ابن المبارك: حدثنا المبارك بن فضالة، عن الحسن أنَّه ذكر هذه الآية: ﴿أَفَمَا نَحۡنُ بِمَيِّتِينَ ٥٨ إِلَّا مَوۡتَتَنَا ٱلۡأُولَىٰ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ٥٩﴾ [الصافات: ٥٨-٥٩]، قال: "علموا[٤] أنَّ كلَّ نعيمٍ بعده الموتُ أنَّه يقطعه، فقالوا: ﴿أَفَمَا نَحۡنُ بِمَيِّتِينَ ٥٨ إِلَّا مَوۡتَتَنَا ٱلۡأُولَىٰ وَمَا نَحۡنُ

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/ ١٢٣) وهو مرسل صحيح الإسناد.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ١٢٤) بلفظ "يكون لهم نورًا يمشون به".

(٣) المرجع السابق.

(٤) أي: أهل الجنة.





بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الصافات: ٥٨-٥٩] قيل: لا، قالوا: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الصافات: ٦٠]"[١].

وكان يزيد الرَّقاشي يقول في كلامه: "أَمِنَ أهلُ الجنَّة من الموتِ، فطابَ لهم العيش، وأمِنُوا من الأسقامِ، فهنيئًا لهم في جوار اللَّهِ طول المقام، ثمَّ يبكي حتَّى تجري دموعه على لحيته"[٢].

(١) موسوعة التفسير بالمأثور (١٨/ ٦٠٦).

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (٦٥/ ٨٧).



فصلٌ في ذبحِ الموتِ بين الجنَّةِ والنَّارِ والرَّدِّ على من قال: إنَّ الذَّبحَ لِملَكِ الموتِ، أو إنَّ ذلك مجازٌ لا حقيقةٌ

١- أَوَ مَا سَمِعْتَ بِذَبْحِهِ لِلمَوْتِ بَيـ ... ـنَ المَنْزِلَيْنِ[١] كَذَبْحِ كَبْشِ الضَّانِ

٢- حَاشَا لِذَا الملَكِ الكَرِيمِ وإنَّمَا ... هُوَ مَوْتُنَا المحْتُومُ للإنْسَانِ[٢]

٣- وَاللهُ يُنْشِئُ مِنْهُ كَبشًا أمْلَحًا[٣] ... يَوْمَ المعَادِ يُرَى لَنَا بِعِيَانِ

٤- يُنْشِي مِنَ الأعْرَاضِ أَجْسَامًا كَذَا ... بِالعَكْسِ كُلٌّ قَابِلُ الإمْكَانِ[٤]

٥- أفَمَا تُصَدِّقُ أنَّ أَعْمَالَ العِبَا ... دِ تُحَطُّ يَوْمَ العَرْضِ فِي الميزَانِ؟

٦- وَلِذاك تَثْقُلُ تَارَةً وَتَخِفُّ أُخـ ... ـرَى ذَاكَ فِي القُرْآنِ ذُو تِبْيَانِ

٧- وَلَهُ لِسَانٌ كِفَّتَاهُ تُقِيمُهُ ... وَالكِفَّتَانِ إِلَيْهِ نَاظِرَتَانِ

٨- مَا ذَاكَ أمْرًا مَعْنَوِيًّا بَلْ هُوَ الْـ ... مَحْسُوسُ حَقًّا عِنْدَ ذِي الإيمَانِ[٥]

---

(١) أي منزل أهل الجنة ومنزل أهل النار، وقد تقدّم الحديث في ذلك.

(٢) يعني أنزّه أن يكون الذبح لملك الموت، وإنّما هو للموت نفسه.

(٣) أملحاً بالتنوين للضرورة الشعرية، وإلا فهي ممنوعة من الصرف.

(٤) كلٌّ قابل الإمكان يعني أن قلب الأعيان إلى أعراض، والأعراض إلى أعيان أمر ممكن قابل الإمكان، فالله على كل شيء قدير.

(٥) قال الحافظ ابن حجر (فتح الباري: ١٣/ ٥٣٨): "قال أبو إسحاق الزَّجَّاج: أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان، وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة، وأن الميزان له لسان وكفتان ويميل بالأعمال، **وأنكرت المعتزلة الميزان، وقالوا: هو عبارة عن العدل، فخالفوا الكتاب والسنة**؛ لأنَّ الله أخبر أنه يضع الموازين لوزن الأعمال؛ ليرى العباد أعمالهم ممثّلة؛ ليكونوا على أنفسهم شاهدين، وقال بن



٩- أَوَ مَا سَمِعْتَ بأنَّ تَسْبِيحَ العِبَا ... دِ وَذِكْرَهُم وَقِرَاءةَ القُرْآنِ
١٠- يُنْشِيهِ رَبُّ العَرْشِ فِي صُوَرٍ تُجَا ... دِلُ عَنْهُ يَوْم قِيَامَةِ الأبْدَانِ؟
١١- أَوَ مَا سَمِعْتَ بأنَّ ذَلِكَ حَوْلَ عَرْ... شِ الرَّبِّ ذُو صَوْتٍ وَذُو دَوَرانِ
١٢- يَشْفَعْنَ عِنْدَ الربِّ جَلَّ جَلَالُه ... وَيُذَكِّرُونَ بِصَاحِبِ الإحْسَانِ؟[1]
١٣- أَوَ مَا سَمِعْتَ بأنَّ ذَلِك مُؤنِسٌ ... فِي القَبرِ لِلْمَلْفُوفِ فِي الأكْفَانِ
١٤- فِي صُورَةِ الرَّجُلِ الجَمِيلِ الوَجْهِ في ... سِنّ الشَّبَابِ كأجْمَلِ الشُّبَّانِ؟[2]
١٥- أَوَ مَا سَمِعْتَ بأنَّ مَا تَتْلُوهُ فِي ... أيَّامِ هَذَا العُمْرِ مِنْ قُرْآنِ
١٦- يَأْتِي يُجَادِلُ عَنْكَ يَوْمَ الحَشْرِ للرَّ... حْمنِ كَيْ يُنْجِيكَ منْ نِيرَانِ
١٧- فِي صُورَةِ الرَّجُلِ الَّذِي هُوَ شَاحبٌ ... يَا حَبَّذَا ذَاكَ الشَّفِيعُ الدَّانِي[3]

فورك: أنكرت المعتزلة الميزان بناء منهم على أن الأعراض يستحيل وزنها إذ لا تقوم بأنفسها، قال: وقد روى بعض المتكلمين عن بن عباس رضي الله عنهما أن الله تعالى يقلب الأعراض أجسامًا فيزنها انتهى).

(١) وقد تقدّم الحديث بذلك.

(٢) وقد تقدّم ذلك في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه وفيه: "ويأتيه –أي يأتي العبد المؤمن في قبره- رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح".

(٣) يشير بذلك إلى حديث رسول الله ﷺ: "يجيء القرآن يوم القيامة كالرجل الشاحب يقول لصاحبه: هل تعرفني؟ أنا الذي كنت أُسهر ليلك وأُظمئ هواجرك، وإن كلَّ تاجرٍ من وراء تجارته، وأنا لك اليوم من وراء كلِّ تاجرٍ". الصحيحة (٢٨٢٩).



١٨- أَوَ مَا سمعْتَ حَدِيثَ صِدْقٍ قَدْ أَتَى ... فِي سُورَتَينِ مِنَ اوَّل الفُرقانِ؟

١٩- فِرقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ بَيْنَهَا ... شَرْقٌ وَمِنْهُ الضَّوْءُ ذُو تِبْيانِ

٢٠- شَبِّهُمَا بغَمَامَتَينِ وإنْ تَشَأْ ... بِغَيَايَتَينِ هُمَا لِذَا مَثَلَانِ

٢١- هَذَا مِثَالُ الأجْرِ وَهْوَ فِعَالُنَا ... لِتلَاوَةِ القُرْآنِ بالإحْسَانِ[1]

٢٢- أوَ ما سمِعتَ بِقَلْبِه سبحانَه الْـ ... أعيانَ مِن لَونٍ إلى ألوانِ؟

٢٣- فَالْمَوتُ يُنْشِيهِ لَنَا فِي صُورَةٍ ... خَلَّاقةٍ حَتَّى يُرَى بِعيَانِ

٢٤- والمَوْتُ مَخْلُوقٌ بِنَصِّ الوَحْيِ والْـ ... مَخْلُوقُ يَقْبَلُ سَائِرَ الأكْوَانِ

٢٥- فِي نَفْسِهِ وبِنَشْأَةٍ أُخْرى بِقُدْ ... رَةِ قَالِبِ الأَعْرَاضِ والأعيانِ

٢٦- وَكَذَلِكَ الأعْرَاضُ يَقْلِبُ رَبُّهَا ... أَعْيَانَهَا والْكُلُّ ذُو إمْكَانِ

٢٧- لَمْ يَفْهَمِ الجُهَّالُ هَذَا كُلَّهُ ... فَأَتَوْا بِتَأْوِيلَاتِ ذِي البُطْلَانِ

٢٨- فَمُكَذِّبٌ وَمُؤَوِّلٌ وَمُحَيَّرٌ ... مَا ذَاقَ طَعْمَ حَلَاوَةِ الإِيمَانِ

٢٩- لَمَّا فَسَا الجُهَّالُ فِي آذَانِهِ ... أعْمَوْهُ دُونَ تَدَبُّرِ القُرْآنِ

٣٠- فَثَنَى لَنَا العِطْفَيْنِ مِنْه تَكَبُّرًا ... وَتَبَخْتُرًا فِي حُلَّةِ الهَذَيَانِ

---

(١) وقد تقدّم الحديث بذلك، قال ابن عثيمين (شرح الكافية الشافية: ٤/ ٤٤٦): "فالمؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بيّن أنَّ الذي يأتي يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان إنما هو أجرهما، وليست البقرة وآل عمران؛ لأنَّ البقرة وآل عمران كلام الله ﷻ، وهو غير مخلوق.. وقوله: (وَهْوَ فِعَالُنَا ... لِتلَاوَةِ القُرْآنِ بالإحْسَانِ) يعني كما أن التلاوةَ فعلُنا فما نراه يوم القيامة هو الأجر، واعلم أنَّ القراءةَ تشتمل على مقروء وقراءة، فأمّا المقروء –وأعني بذلك: القرآن- فهو غير مخلوق، وأمّا القراءة فهي مخلوقة؛ لأنَّ القراءةَ صوتُ القارئِ وفعلُه، بالحركات تظهر الأصوات، والصوت فعل الإنسان، فيجب أن نعرف الفرق بين اللفظ والملفوظ...".





٣١- إنْ قُلْتَ: قَالَ اللهُ قَالَ رَسُولُه ... فَيَقُولُ جَهْلًا: أَيْنَ قَوْلُ فُلَانٍ؟[١]

(١) قال الشيخ محمد خليل هراس (شرح الكافية الشافية: ٢/ ٤٣٦): "وإذا ثبت أنَّ الأعمال والقراءة وغيرهما من الأعراض يقلبها اللّه أعيانا توزن وتجيء وتتكلم، فلا مانع أبدًا أن يُنشئ اللّه الموت الذي هو عرض في صورة كبش حتى يراه أهل الجنة والنار ليزداد أهل الجنة فرحًا وليزداد أهل النار غمًّا وبأسًا.

فالموت مخلوق بنصّ القرآن، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك: ٢]، ولا شك أنَّ المخلوقَ قابلٌ في نفسه لكل أنحاء الوجود، وقابل أيضًا لأن ينشئه اللّه نشأة أخرى، فيحيله من عرض إلى جسم ومن جسم إلى عرض...، فلا يمتنع على قدرة الخالق جل شأنه التصرف في عالم الإمكان بما يشاؤه من الصور والألوان، ولكن الجهلة الأغبياء لم يقدروا اللّه حق قدره، وظنوا أنَّ قلبَ الأعيانِ محالٌ فأتوا بتأويلات باطلة متكلّفة لكل ما قدّمنا من النصوص، فمنهم من كذّب بها، ومنهم من اشتغل بتأويلها، ومنهم من بقي متحيِّرًا لا يدري ما يقول، لأنَّ ترّهات الجهال ملأت أذنه فأعمته عن تفهّم القرآن وتدبره، وهو مع ذلك يظن أنه على شيء من العلم فيمشي تيّاهًا متكبِّرًا يختال في حلل جهله وهذيانه، وإذا احتُجَّ له بما قال اللّه عز وجل في كتابه وبما قاله رسوله ﷺ لم يقنعه هذا، وراح يسأل عمَّا قاله فلان وفلان، لأنَّ آراءَ الناس عنده مقدَّمةٌ على ما جاء به الوحيان، فما أقبح الجهل والغرور بالإنسان".

